خطـرُ الذُّنـــوب

الحمد لله معزٍّ من أطاعه واتقاه، ومذلٍّ من أضاع أمره وعصاه، أحمده تعالى على جزيل كرمه وما أولاه، وأشكره على آلائه وما أسداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا ربَّ لنا سواه، ما خاب من دعاه، ولا يئس من رجاه، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله خير عبد اصطفاه، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن كان هواه تبعاً لهداه.

أما بعد:

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ حقَّ التقوى، فالتَّقوى أكرم ما أسررتم، وأعزُّ ما أظهرتم، وخير لباس لَبِستم.

أيها المسلمون:

حقيقة الحياة هي حياة القلب، فالمؤمن حيٌّ بإيمانه، والكافر ميّتٌ بإعراضه، كما قال تعالى: ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾ [النّحل: الآية ٢١]، وليس عمر الإنسان سوى حياته بالله ولا عمر له سواها، والعبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي ضاعت عليه أيام حياته التي سيجد غِبّ إضاعتها يوم يقول: «يا ليتني قدمت لحياتي»، والذي يفوت بارتكاب المعصية من خيري الدنيا والآخرة أَضعاف ما يحصل له من السرور واللّذّة بها، والألم والعذاب كله فيمن أسخط ربّه ومولاه بتدنيس نفسه بالذّنوب والآثام.

أيها المسلمون:

إنَّ المعاصي والذّنوب خطر على الأبدان والقلوب، وأثرها ظاهر

على الأوطان والشّعوب، فهي جالبة للشّرور والمصائب، بها تزول النعم وتَحصل النقم وبسببها تتوالى المحن وتتداعى الفتن، وبالمعصية تتعسر الأمور على العاصي، فما يتوجه لأمر إلا ويجده مغلقاً دونه أو متعسراً عليه تحقيقه، والمعصية تحرم العاصي الرزقَ من السماء وتمحق بركة عمره، ويعود حامده من الناس ذاماً له.

إنَّ طاعة الله هي حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، ومن عصاه انقلبت مآمنه مخاوفاً وتعلو الوحشةُ قلبه فيستوحِشُ ويُستوحَشُ منه، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فَاطِر: الآية ١٠]، والنفوس تَشْرف وتعظم بطاعة الله وتصغر بمعصية الله، فصاحب المعصية مطأطأ الرأس ذليل، المهانة محيطة به وإن تظاهر بالعزّة والأنفة، يقول عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ [المجَادلة: الآية ٢٠]، ويقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وجعل الذّلة والصَّغار على من خالف أمري**» (رواه أحمد)، ويقول الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: «أبى الله إلا أن يذلّ من عصاه».

إنّ الذنوب أمراض متى استحكمت قتلت، وبالهلاك آذنت، وتتابع الآثام سبب زوال الأمن والاطمئنان عن الأفراد والمجتمعات، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية أذن الله بهلاكها»، وما في الدنيا من شرٍّ وداء فسببه الذّنوب والعصيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: الآية ٣٠]، وشؤم المعاصي يتابع العصاةَ فإبليس لا زال يتخبط في حمأة معصيته.

أيها المسلمون:

لقد توهم أناس في أمر الذَّنب إذ لم يروا تأثيره في الحال، وقد يتأخرُ تأثيرُه فينسوا أنه من الذَّنب، ولم يَعْلم المغتر أن عقوبة الذنب تَحُل ولو بعد حين قال عز وجل: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ

﴿ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النّساء: الآية ١٢٣]، فقد لُعِن إبليس وأهبط من منزل العزّ بترك سجدة واحدة أمر بها، وأخرج آدم من الجنة بأكلة تناولها، ودخلت امرأة النار في هرة حبستها، وبينما رجل يجرُّ إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة، فكن خائفاً من ذنبك ولا تأمن العقوبة فإن هوان الذنب على العاصي من علامة الهلاك، وكلما صَغُر الذنب في عين العبد عظم عند الله، فإياك ومحقرات الذنوب فإنهن إذا اجتمعن على الرجل أهلكنه، يقول النبي ﷺ: «**فإنما مثل محقّرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وجاء ذا بعودٍ، حتى جمعوا ما أنضجوا به خبزهم**» (رواه أحمد)، ويقول أنس رضي الله عنه: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدقّ في أعينكم من الشعر وإن كنا لنعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» (رواه البخاري)، ولما نزل الموت بمحمد بن المنكدر بكى فقيل له: «ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكي لذنب أعلم أني قد أتيته، ولكني أخاف أن أكون أذنبت ذنباً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم».

أيها المسلمون:

الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبَها، وإذا ظهرت فلم تغير ضرت العامة، يقول النبي ﷺ: «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله فلم يغيروه، إلا عمّهم الله بعقاب**» (رواه أحمد)، والذَّنب يعظم ويحدُق خطره إذا جاهر به العبد، أو استصغره، أو فرح به، أو تهاون بستر الله عليه، وبعض الناس قد وضع على داره أمارة المعصية بأطباق سوداء معتمة تجلب الرذيلة وتهدم العقيدة، ومنهم من جاهر بالرِّبا ولم يتورعوا من سمومه فسقوه أبناءهم وخنقت من نتنها مجتمعاتهم، وفيهم من تردى في حمأة الردى بآثار أفعال السحرة والمشعوذين، وكم هي أعداد المصلين في المساجد؟ ألم يفرط بعض الآباء في تربية أبنائهم؟! بل وجلبوا لهم المنكرات إلى بيوتهم!! وآووا الشياطين في دورهم حيث

ملؤوها بالمعازف، وخرج بعض النساء من دورهن لغير حاجة متبرجات نازعات جلباب الوجل والحياء، ولم يقتدن بالنساء الصالحات السالفات، يقول ابن العربي ـ رحمه الله ـ وقد مكث في أحد بلدان المسلمين ـ: «أقمت فيها أشهراً فما رأيت امرأة في طريقٍ نهاراً إلا يومَ الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتليء المسجد منهن، فإذا قُضيت الصَّلاة وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى».

لقد جلب المجاهر على نفسه منكرات دهماء، الذَّنب فيها على الذَّنب يعمي، يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن المجاهرين بالمعاصي: «وهذا الضرب من الناس لا يُعَافَوْنَ ويسدّ عليهم طريق التوبة وتغلق عنهم أبوابها في الغالب، يقول النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**» (متفق عليه)، ويقول ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «يكون إهلاك الجميع عند ظهور المنكر والإعلان بالمعاصي».

أيها المسلمون:

إن الذنب لا يقتصر على ارتكاب المناهي فحسب، بل إن التقصير في أداء الواجب من جملة المآثم، وإذا فرط المسلم في جانب الدعوة إلى الله، أو في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أو تخلَّى الأب عن قوامة داره بإصلاح أهل بيته وقع في الإثم، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وقد ظن كثير من الجهال أن الاستغفار لا يكون إلا عن ارتكاب محرم وليس عن ترك واجب»، ومن لم يتقدم بالطاعة تأخر بالتقصير يقول تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: الآية ٣٧]، فمن لم يتقدم فقد تأخر.

أيها المسلمون:

أمارات النذر تجلت، كسوف شمس وخسوف قمر، وقحط في المطر، وبدوُّ عيله وازديادُ أمراض عضوية ونفسية، زلازل وكوارث،

فيضانات وحوادث، عظة وذكرى، يقول تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبيَاء: الآية ١١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: الآية ١٠٢].

إنَّ شؤم أذى العاصين يلاحق الدَّوابّ والأشجارَ، يقول النبي ﷺ: «**وإن العبد الفاجر إذا مات، استراح منه العباد والبلاد والشَّجر والدَّواب**» (رواه مسلم). عجبٌ أمرنا والله إنه لعجب نرجو المطر ولا نبالي بالخطر، إن الأمر عظيم والمنقلبَ مهول: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٨٣]، لقد كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح تغير لونه، وأقبل وأدبر، وخرج من داره فرقاً من عذاب الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ١٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: أيها المسلمون:

من أعظم الاغترار التمادي في الذّنوبِ مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقعُ القُرْب من الله بغير طاعة، وانتظارُ زرع الجنَّة ببذر النار، وإنّ الحرص على التباعد عن المحرماتِ وأسبابها من تعظيم المناهي، وبعض الناس اعتمد على رحمة الله وعفوه دون عمل، فضيع أمره ونسي أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، وعلى العاصي أن يتذكر قبل العصيان أن الصَّبر عن فعل الشَّهوة؛ أهونُ من الصَّبر على ما توجبه الشَّهوة، فإن الخطيئة إما أن توجبَ ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذَّة أكمل منها، وإما أن تَسْلِبَ نعمة بقاؤها ألذُّ وأطيبُ من قضاء الشَّهوة.

ففرَّ بدينك من الفتن، واعتصم بالكتاب والسُّنة، وجالس الصالحين، وإياك ومخالطةَ أهلِ المعاصي وقرناءِ السوء، واحذر الأمانيَّ والإرجاء، وكن يقظاً من مكائد الشَّيطان ومصائدِه، واحذر وساوسَه ودسائسَه، ولا تيأس من إصلاح مجتمعك ولو كثر فيه العصيان، فالنفوس مجبولة على الفطرة وحبِّ الخير، واصبر وصابر على الدعوةِ وإقامةِ النُّفوس على

الطريق السَّويّ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: الآية ١١٧].

ثم اعلموا أن الله أمركم بالصَّلاة والسَّلام على نبيه...